

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- كان الحديث وقف بنا في الحلقة الماضية، عند مهاجر النبي -عليه الصلاة والسلام-، وتلقي أهل المدينة له، وكان آخر ما توقفنا عنده، قول ابن كثير -رحمه الله-: "فأقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقاء أيامًا" إلى آخره.
- سبق أن الصحابة -رضوان الله عليهم- تلقوا النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما علموا بمقدمه من مكة، وكانوا يخرجون أول النهار، بغية تلقيه، حتى إذا ارتفع النهار، واشتد الحر، رجعوا إلى بيوتهم، فلم يرعهم في ذلك اليوم، وهو يوم الاثنين الثاني عشر، من ربيع الأول، إلا ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد دخل المدينة، أو قريبًا من هذا، نعم، في الثاني عشر من ربيع الأول، على رأس سنة ثلاثة عشرة، وهي السنة الأولى من هجرته، ثلاثة عشرة من بعثته، وهي السنة الأولى من مهاجره -صلوات الله وسلامه عليه-.
- تلقوه، وسبق الكلام على أنه نزل على كلثوم بن الهدم -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، وقيل على سعد بن خيثمة. المهم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- بقي في قباء أيامًا، ومرمعنا أيضًا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما دخل المدينة، كان أكثرهم لم يميز النبي -عليه الصلاة والسلام- من أبي بكر، إلا لما رأوا أبا بكر يظلمه من الشمس، وهذا قلنا فيه من الدروس ما فيه من التواضع، وأنه -عليه الصلاة والسلام- لم يكن متميزًا ببزة أو هيئة عن غيره.
- فلما بقي -عليه الصلاة والسلام- في قباء أول ما دخل، كما قال ابن كثير هنا، أسس مسجد قباء، ثم ركب -عليه الصلاة والسلام-، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، وهذا أحد بطون الأنصار -رضي الله عنهم-، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، واسم الوادي هذا "رانونا" كما ذكر ابن كثير هنا، وهو معروف في أهل السير، وسنريكم -إن شاء الله- الآن صورةً بعد قليلٍ توضح موقع هذا الوادي من المدينة النبوية.
- يقول: "ورغب إليه أهل تلك الدار أن ينزل عليهم، فقال: «دعوها إنها مأمورة»" التي هي الناقة، وهذا الحديث مع شهرته، إلا أن في سنده ضعفًا، لكن كما مر معنا في أكثر من مرة، في أبواب السير، يورد العلماء أمثال هذه الأحاديث؛ لأنه لا يترتب عليه حكمٌ، وليست هذه مخالفةً لأحاديث صحاح أخرى، فيتسامح فيها أهل العلم، فيوردونها في مثل هذا الموضع.

- فلما جاءت الناقة موضع المسجد النبوي، الذي أقيم عليه مسجده -صلى الله عليه وسلم-، قبل التوسعات المشهورة هذه، وهي في موضع المنبر الآن، الذي يخطب عليه خطيب الجمعة، في المسجد النبوي، بركت الناقة في هذا الموضع، فاتخذ النبي -عليه الصلاة والسلام- في ذلك الموضع مسجداً.
- هنا فقط نشير إلى موضع الوادي، الذي ذكره ابن كثير -رحمه الله تعالى-، وهو كما ترون في هذه الصورة، هنا موقع وادي "رانونا" الذي أشار إليه المؤلف -رحمه الله تعالى-، هذا هو الوادي، هذا هو موقع وادي "رانونا"، وهنا إلى جهة الشمال، هنا البقيع، وهنا السنج، وكذلك هنا قريباً من هذا الموضع مسجد النبي -عليه الصلاة والسلام-، في هذه الجهة، وقباء هنا، فلما سار النبي -صلى الله عليه وسلم- من قباء، من هذا الموضع، انتقل إلى جهة الشمال، إذا اتجه إلى جهة الشمال تقريباً، اتجه إلى موضع المسجد النبوي، قبل أن يصل إلى المسجد النبوي، كان هذا موضع الوادي، وهو وادي "رانونا" الذي عليه المربع الصغير هذا، هذا موضع الوادي الذي مرت به هذه الناقة.
- يقول -رحمه الله-: "فلما جاءت موضع مسجده اليوم بركت، ولم ينزل عنها -صلى الله عليه وسلم- حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وذلك في دار بني النجار، فحمل أبو أيوب -رضي الله عنه- رخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى منزله"، وهذه لاشك أنها منقبة لأبي أيوب، أن يكون هو أول من يضيف النبي -عليه الصلاة والسلام-، ونزل النبي -صلى الله عليه وسلم- في أسفل البيت، وأبو أيوب وزوجته صعدا إلى الأعلى.
- ومما ذكر في خبر نزوله -صلى الله عليه وسلم-: أن أم أيوب -رضي الله عنها- قالت: "كيف نزل نحن في العلو وهو في السفلى؟ استكثروا أن يكونوا أعلى منزلاً من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما أرادوا أن يغيروا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**لَا؛ لَأَنَّ النَّاسَ يَطْرُقُونِي**»، فتكليفهم بالصعود فيه مشقة، ووجودي في الأسفل أيسر. وهذا نموذج من توقير الصحابة -رضي الله عنهم- للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وله في ذلك قصة.
- ثم قال: "**واشترى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موضع المسجد، وكان مريداً ليتيمين**"، المريد هو المكان الذي يجفف فيه التمر.
- ثم بناه -عليه الصلاة والسلام-، وهذا موضعٌ يتذكر فيه المؤمن قول الله -عز وجل-: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: 68]، واختيار الله -عز وجل- أثر من آثار حكمته التامة، وعلمه الكامل، وهذه البقعة، التي كانت مريداً ليتيمين، ثم صارت مسجداً بعد ذلك، صارت بقعةً هي أفضل بقعة على وجه الأرض، بعد المسجد الحرام، وصارت هذه البقعة، من صلى فيها ضوعفت صلاته بألف صلاة، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم، عنه -صلى الله عليه وسلم-، من حديث ميمونة -رضي الله عنها-.
- وفي هذا أيضاً من الدروس: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تلاحظون أنه أول ما قدم حرص على موضوع المساجد، ففي قباء مسجداً، وفي موضعه الذي أراد أن يستقر فيه -عليه الصلاة والسلام- أقام المسجد، **لماذا أيها الإخوة؟ لأن المسجد هو المدرسة الأولى الذي يُبنى فيها الرجال، وهو الموضع الأعظم، الذي يُغرس فيه الإيمان، البيوت لها أثر بلا شك، لكن بيوت الله -عز وجل- أجل وأعظم، ولهذا كان النبي -عليه الصلاة**

والسلام- يعظم هذا المكان، وكان يجعله محلاً للقضاء، ومحلاً لتسيير الجيوش، ومحلاً لتربية الصحابة، ومحلاً لمجالس العلم والإيمان، ومنها خرج هؤلاء الأفواج -رضوان الله عليهم- يفتحون الأمصار.

لا يُصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح

في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح

• يُصنع الأبطال هنا، لا يُصنع الأبطال في أماكن أخرى، ولهذا إذا أردنا أن نحسن إلى أبنائنا وبناتنا، أبنائنا الذكور بالذات، الذين يخرجون، علينا أن نربطهم ببيوت الله -عز وجل-، بحلق العلم، بحلق تحفيظ القرآن الكريم، بحب المساجد، فإذا نشأوا فيها، وحُبب إليهم التردد عليها، فإن هذا حصنٌ عظيمٌ، من حصون التقوى، ومن حصون الهداية والتوفيق، ولهذا الله -عز وجل- يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: 36، 37].

• أيها الإخوة والأخوات، علينا أن يكون للمسجد دورٌ في حياتنا، البيت له دورٌ، لكن للمسجد دورٌ أعظم، في المسجد يتلقى المؤمن رحمة الله -عز وجل-، يتلقى العلم، يتلقى الهدى، يتلقى ميراث النبوة، الذي تركه النبي -صلى الله عليه وسلم-.

• ثم ذكر -رحمه الله- أن علياً أقام بمكة، حتى أدى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- الودائع التي كانت عنده، وغير ذلك، ثم لحق بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك.

• وتلاحظون في هذا الموضع عبرةً، وهو: أنه وإن اختلفت مع غيرك، ومع خصومك، فإنك لا تتنازل أبداً عن مبادئك، لاحظ النبي -عليه الصلاة والسلام- خرج من مكة، مطروداً، ومطلوباً للقتل، ومع ذلك لم يقل لعلي بن أبي طالب، الله الله، فرصةً هذه أن تأخذ الأموال، وأن تجردها، وأن تهرب بها، وأن تخفيها، أبداً، بل أبقاء ليرد الأمانات إلى أهلها، فصاحب المبادئ لا تذهب مبادئه ولو في الحرب، ولو مع الأعداء، الصدق صدقٌ، والحق حقٌ، والعدل عدلٌ، مطلوبٌ مع كل أحدٍ. قارن هذا بمن تطيش عنده موازين الأخلاق عند أدنى اختلافٍ مع إخوانه المسلمين، يتخاصم مع شخصٍ، فينسف تاريخه كله بمجرد موقفٍ لم يعجبه، يحصل بينه وبين أحدٍ خصومةٌ في المحكمة مثلاً، فيقع في قلبه من الغيظ والكذب عليه، والحنق، لأجل أنه اختلف معه في خصومةٍ، وما هذه أخلاق أهل الإيمان، ولا هي الأخلاق التي ربى النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه عليها.

• ثم ذكر -رحمه الله- فصلاً يتعلق بقضيتين أساسيتين: القضية الأولى: في موادعته، أو مهادنته لرؤوس القوى المؤثرة في المدينة، ما هي أقوى قوة في المدينة معادية؟ هي قوة اليهود، أما المنافقون، فلم يظهر قرينهم بعد في ذلك الوقت، فالمدينة فيها بقايا من المشركين، الذين لم يدخلوا في الإسلام بعد من الأوس والخزرج، وفيها بقايا من اليهود، ويشكلون ثلاث قبائل، بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير، الصنف الثالث: وهم المسلمون، لكنهم لم تكن بعد لهم قوة، فكان من الحكمة أن لا يصادم -عليه الصلاة والسلام- هذه القوى الموجودة، حتى وإن كان له -عليه الصلاة والسلام- أملٌ أو طموحٌ في إقامة الدولة المسلمة في المدينة، لكن

ليس من الحكمة أن تكون في موضع ضعفٍ، وتواجه القوى التي لا طاقة لك بها، هذا يكون نوعٌ من التهور، ونوعٌ من الجناية على الإسلام وأهله.

● فذكر أنه وادع، يقول: "وَادَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- من بالمدينة من اليهود، وكتب بذلك كتاباً، وأسلم حبرهم عبد الله بن سلام -رضي الله عنه-، وكفر عامتهم" ولذلك كأَنهم والعياذ بالله كما تعلمون، هؤلاء اليهود، لا يرون غيرهم شيئاً، يقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّاتِ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: 75]، هم يرون أن غيرهم من الخلق حميرٌ، خلُقوا لهم، وأن اليهود خلُقوا ليركبوا هذه الحمير، أبداً، ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام- كما في البخاري: «لو آمن بي عشرةٌ من اليهود، لآمنت يهود كلها»، والسبب: قلة المؤمنين منهم، ولشدة عنادهم، وكبرهم وتهمهم، واعتزازهم بما هم عليه من باطل.

● ثم يقول، تكلم على مسألة فرض الجهاد، وذكر قضية مؤاخاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار، وهذه بإجماع أهل السير، وقعت السنة الأولى للهجرة، وهذه المؤاخاة كانت غايةً في الحكمة، من النبي -عليه الصلاة والسلام-، لم؟ لا يخفى عليكم أن المهاجرين -رضي الله عنهم- لما أُخرجوا من ديارهم وأموالهم، خرجوا ليس معهم شيءٌ، خرج بعضهم بثوبه كما يقال، خرج بعضهم فاراً بدينه، ليس معه شيءٌ، فقديماً إلى المدينة، فوجد إخوان الصدق، الذين سبقوه في السكنى إلى المدينة، وبعضهم قد يكون سبقه إلى الإيمان، كما وصفهم الله -عزَّ وجلَّ- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: 9]، فكان من الحكمة أن يؤاخى بينهم؛ لترتفع المنة، بدلاً من أن يقول: تكفى يا أخي، أعطني كذا، تكفى يا أخي، أريد كذا، تكفى يا أخي أريد أن أنام في بيتك، لا، آخى النبي -عليه الصلاة والسلام- بينهم، وكان من بنود هذه المؤاخاة أن يقع التوارث بينهم لو مات أحدهم قبل الآخر، لاحظ، كما قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 6]، فأخى، فإذا كان يرثه، فما ظنك بما دون الإرث؟

● وقد آخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بين تسعين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فكانوا خمسةً وأربعين، وخمسةً وأربعين، ومن الذين آخى بينهم النبي -عليه الصلاة والسلام- عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين، وسعد بن الربيع من الأنصار، فقال له سعد: يا عبد الرحمن، عندي زوجتان، فانظر أيهما أحب إليك، حتى أطلقها، وعندي أرضان، أو مزرعتان، فانظر أيهما أعجب إليك لأتخلى وأخليا لك، هل سمعتم يا إخوان بمؤاخاةٍ في التاريخ أحسن من هذه المؤاخاة وأعظم؟ لا والله، ولا يأتي بمثل هذه إلا دينٌ عظيمٌ، وهو دين محمدٍ -عليه الصلاة والسلام-، ولهذا ذكر الله -عزَّ وجلَّ- هذه المنة على رسوله في سورة الأنفال، فقال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: 63]، مهاجريٌّ وأنصاريٌّ، هذا من قريش، وهذا من الأنصار، هذا عدنانيّ، وهذا قحطانيّ، لا يلتقون إلا في أجدادٍ بعيدةٍ جداً، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63].

إذن، هذه منةٌ عظيمةٌ، وبه نعلم، أن من أجلى مظاهر قوة المسلمين: أن يكون بينهم إلفةٌ ومودةٌ.

هذه المؤاخاة التي يقع فيها إرثٌ ونحو ذلك، نُسخت كما هو معلومٌ، وأُبقي التوارث بين ذوي الأرحام فقط.

● نعود إلى قصة عبد الرحمن وسعد، قال: بارك الله لك في زوجك ومالك، دُلني على السوق، عبد الرحمن صاحب تجارةٍ، فانطلق إلى السوق، وبعض المهاجرين مع الأنصار تقاسموا، تقاسموا كل شيءٍ، وكانوا يفعلون ذلك بخبر

الله عنهم، في غاية السخاء، ماذا قال الله؟ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وقبلها: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

• إذن، إذا أراد الإنسان أن يقوم بعملٍ من الأعمال الدعوية في أي بلدٍ من البلدان، لا يمكن أن يقوم بهذا العمل على وجهٍ جيدٍ وصحيحٍ، والناس متنازعون، فمن أجل الأعمال، وأعظم القربات: التأليف بين قلوب المسلمين، والسعي إلى تقليص الفجوات بينهم.

• ثم ذكر أن الله تعالى فرض الزكاة في هذه الفترة، رفقاً بفقراء المهاجرين، كما ذكر ابن حزم، وبعض الحفاظ من علماء الحديث: إنه أعياه فرض الزكاة متى كان، هذا لا يعنيننا، ليس موضعاً لنا هنا.

• ثم انتقل المؤلف -رحمه الله- إلى بيان مسألة تتعلق بفرضية الجهاد، وهو أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما استقر في المدينة، بين أظهر الأنصار وقد كانوا بايعوه، تذكرون في الدروس الماضية، بايعوه في العقبة، في منى، بايعوه على النصر، فلما قديم إليهم، تكفلوا، وأعلنوا نصرته، وصدقوا -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-، فلما وجد النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا التكتل الأنصاري مع من جاء إليهم من المهاجرين، ووجد العرب، ووجد اليهود، وبقياء المشركين في المدينة، وبقياء المشركين في مكة، وجدوا أن الآن هذه قوة ناشئة، رمتهم العرب عن قوسٍ واحدةٍ كما يقولون، وتعرضوا للأذى والتنكيل، فنزلت الآية الكريمة في سورة الحج: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39].

• ثم لما صاروا في المدينة، صارت لهم شوكة، فأذن الله -عز وجل- لهم بالجهاد، بل كتبه الله تعالى عليهم في السنة الثانية من الهجرة، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

• والجهاد مشروعيته مرّت بأربع مراحل:

□ **المرحلة الأولى: مرحلة منع الجهاد**، يعني أن لا يجاهد المسلمون الكفار، وهي حالة الاستضعاف التي مرّت بهم في مكة.

□ **المرحلة الثانية: الإذن بالقتال**، وذلك بعد الهجرة، بنص آية الحج ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: 39].

□ **المرحلة الثالثة: مرحلة الأمر بالقتال لمن يبدؤهم بالقتال**، كما قال الله -عز وجل-: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: 190].

□ **المرحلة الرابعة: التي جاءت في سورة التوبة وغيرها**، وهي: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 36].

وقد أشار إلى هذه المراحل ابن القيم -رحمه الله- في "زاد المعاد".

فلما أذن بالقتال، كان أول غزوة غزاها، هي "غزوة الأبواء"، وذلك في شهر صفر، سنة اثنتين من الهجرة.

• وأود أن ألفت نظر الإخوة الحضور، والإخوة المشاهدين والمشاهدات، إلى أن سنة اثنين من الهجرة، سنة حافلة بالأحداث، وحافلة بالتشريعات، سيأتي معنا، لكن أذكرها الآن ابتداءً حتى نتذكرها إذا مررنا.

- ففيها نزلت سورة البقرة، وهي التي يسميها بعض العلماء: كلية الشريعة؛ لكثرة ما فيها من الأحكام، وفيها أذن بالقتال، وفيها وقعت أول غزوة، وهي "غزوة الأبواء"، وفيها وقعت غزوة بدر الأولى، كما سيأتي بعد قليل، وفيها في شهر شعبان حُوِّلَت القبلة، وفي آخر ليلة من شهر رجب حصل قتالٌ في إحدى السرايا التي بعثها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونزل بسببها قوله -عز وجل-: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ)** [البقرة: 217]، وفي رمضان من ذات السنة فُرض صوم رمضان، إذن هي سنةٌ حافلةٌ بالأحداث.
- فذكر أن هذه الغزوة، وهي "غزوة الأبواء" طبعًا لم يقع فيها قتالٌ، كما تقرؤونه في الخبر، لكن يهمني هنا أن نرى موقع الغزوة، كما سيظهر الآن في الشاشة من المدينة.
- الآن لاحظوا المربع هذا الذي لونه ورديٌّ، هذا هو موقع الأبواء، بين المدينة وبين مكة، وهنا في هذا الموضع، دُفنت أم النبي -صلى الله عليه وسلم- كما ذكر أهل السير، وقد زرت هذه المنطقة في غابر الأيام، وإذا هي ليست على الطريق تمامًا، لابد أن تدخلها، إذا كنت قادمًا من المدينة، تدخل ذات اليمين قليلًا، حتى تجد هذه المدينة، وهي مازالت موجودةً، لكنها كانت معروفةً على الطريق القديم، أما على الطريق السريع، فإنك لا تكاد تراها الآن. هنا وقعت أول غزوة، سميت غزوة؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج -عليه الصلاة والسلام- بنفسه، حتى بلغ هذا الموضع، فودع بني ضمرة، مع سيدهم مجدي بن عمرو، وهذا مجدي بن عمرو سيأتي له ذكرٌ بعد قليل، أو في الحلقة القادمة -إن شاء الله- في غزوة بدر، ثم رجع النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولم يلق حربًا.
- وهنا ننتبه إلى كثافة السرايا في هذه السنة أيضًا، وهذه من الأحداث التي يظهر لمن قرأ في السيرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كثَّف السرايا، كما سيأتي معنا.
- يقول: **"ثم بعث عمه حمزة -رضي الله عنه- في ثلاثين راكبًا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري إلى سيف البحر"** يعني: إلى جانب البحر **"فالتقى بأبي جهل، وركب معه زهاء ثلاثمائة، فحال بينهم مجدي بن عمرو الجهمي"** هل رأيتم مجدي بن عمرو الذي وادعه النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة الأبواء قبل قليل، هذه من فوائد إرسال السرايا، وهو أنه ليس بالضرورة أن ينقلب العدو إلى صديق، أو يكون مسلمًا بعبارة أخرى، لكن من الحكمة أن تحيّد الأعداء، وهذا مر معنا كثيرًا، أحيانًا قد لا تستطيع أن تقنع الطرف الآخر بأن يدخل في الإسلام، لكن تستطيع أن تحيِّده وأن لا تنشغل بخصومته، فيعطيك عهدًا، وميثاقًا، أنه لن تُؤتى من قبله، ولهذا لما بُعثت هذه السرية، وجدنا ثمرةً من ثمرات هذه المودعة التي فعلها النبي -صلى الله عليه وسلم-.
- ثم بعد ذلك بعث عبدة بن الحارث بن المطلب، وهذا سيأتي له ذكرٌ -إن شاء الله- في غزوة بدر.
- في ربيع الآخر من نفس السنة الثانية، في ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين إلى ماءٍ بالحجاز أسفل ثنية المِرة، فلقوا جمعًا عظيمًا، إلى آخره.
- المهم أنه لم يحصل هناك قتالٌ يُذكر، اللهم إلا ما ذكر من رمي سعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالى عنه- بسهمٍ في تلك المعركة، فقتل رجلًا.

- فيقول ابن كثير: "فكان هذان البعثان أول راية عقدها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولكن اختلف في أيهما أول"، ولكن لا يعنيننا هذا.
- المهم: لاحظوا أن ابن كثير يقول: إنهما كانا في السنة الأولى من الهجرة، يقول: وهو قول ابن جرير، فكأنه يشير إلى أن الأقرب أن هذا كله متى؟ في السنة الثانية للهجرة.
- ثم جاءت غزوة بواط، وهذه الغزوة خرج فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- بنفسه، وللفادة: إذا مرَّ بك، ومَرَّتْ بك أيها الأخت الكريمة مصطلح غزوة، فاعلم أن هذه سرية، أو جيشٌ خرج فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-، ما سوى ذلك يُسمَّى معركةً، يسمَّى سريةً، يُسمَّى اسمًا آخرًا، لكن مصطلح غزوة، اصطلاح على أنه ما شارك فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-.
- يقول هنا: "فخرج بنفسه -صلى الله عليه وسلم- في ربيع الآخر من السنة الثانية، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون، ابن أخيه من الرضاعة"، يعني عثمان بن مظعون أخو النبي -عليه الصلاة والسلام- من الرضاعة.
- "فسارحتي بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجعت ولم يلقَ حربًا".
- إذن نستفيد من هذا فائدةً، وهي: أن مصطلح الغزوة، يُطلق على التي خرج فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولولم يقع قتالٌ.
- أين تقع "بواط"؟
- يرينا المخرج -بارك الله فيه- الصورة الآن، لاحظ الآن مر معنا قبل قليل أنه كانت الأبواء هنا في هذا الموضع، هنا بواط، لا، شمال المدينة قليلًا، شمال غرب المدينة، فخرجت ما بين مكة والمدينة، وصارت خارج ما بين المدينتين، وصارت شمالًا إلا جهة رضوى.
- كان المقصود من هذا الاستيلاء على قافلة، لكن لم تيسر، كم فيها نوع؟ ألفين وخمسمائة بعيرًا، وكان كما يُقال نوعٌ من الحرب، والحصار الاقتصادي.
- العدو كانت قافلته قرابة مائة راكبٍ، وراجلٍ، لكن لم يقع في ذلك قتال.
- ثم كانت بعد غزوة العشيرة، ويقال العسيرة، ويقال العشير، كلها أسماءٌ وردت بها، وردت هذه التسمية فيها، في كتب السنة، والسير.
- وهذه الغزوة خرج فيها النبي -عليه الصلاة والسلام- أيضًا بنفسه، في جمادى الأولى، وهي مكانٌ ببطن ينبع.
- أيضًا نريكم -إن شاء الله تعالى- هذه الموقعة، انظروا، لاحظوا الآن كل المساحات أو الخريطة الآن تظهر لنا قريبةً الآن من موقع غزوة بواط، بواط قليلًا إلى الأعلى، إلى جهة جبل رضوى، هنا الآن، نزلنا قليلًا؛ لنصل إلى موقع غزوة العشيرة. من هو العدو؟ ابن كثير يقول: إنهم من بني مُدَلج، الذي هم جماعة من؟ من الذي لحق النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ {سراقة بن مالك}.
- أحسنت، هؤلاء جماعة سراقة بن مالك المُدَلجي، الذي أسلم بعدُ، وهؤلاء من بني ضمرة، وهناك قافلة تجارية لقريش، كان الهدف من الغزوة: هو الوصول إلى العشيرة، في هذا الموضع، على الطريق التجاري بين مكة والشام، لاعتراض القافلة التي جاءت لقريش، وهي خارجةً من مكة، متجهةً إلى الشام، بقيادة أبي

سفيان، وهي نفس القافلة التي كانت سبباً في غزوة بدر الكبرى، لكن هذه في طريق الذهاب، هذه العشيرة في طريق الذهاب؛ لأنها كانت في جمادى الأولى، بينما كانت غزوة بدر في طريق الإياب، ولهذا لما نجت القافلة، ونجى بها، انظروا قرب الموضع، لما نجت القافلة أبو بكر نَحَّأها إلى جهة البحر، تلاحظون الآن، لاحظوا الآن الموضع هنا، العشيرة قريبة من البحر، فأبو سفيان في رجعتة حاد بالقافلة إلى جهة البحر، فلما نجت، كما سيأتينا، قال لقريش: ارجعوا، المقصود أن القافلة تنجو، قال أبو جهل: والله لا نرجع، حتى نشرب الخمر، وتضرب علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا، كما سيأتي -إن شاء الله-، لكن أراد الله خزيه وخذلانه.

• هذه الغزوة، جاء ذكرها في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم، لما سألته أبو إسحاق السبيعي: **كم غزا النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: تسع عشرة غزوة، أولها العسير أو العشير،** ويُقال: العشيرة. إذن، هو موضع، الغزوة نُسبت إلى هذا الموضع.

• هنا التعليق على كثرة هذه السرايا في هذه السنة بالذات، وهي السنة التالية لدخوله -عليه الصلاة والسلام- إلى المدينة، واستقراره فيها، فيها عدة رسائل عسكرية:

❖ **الرسالة الأولى:** فيها إرسال رسالة لليهود، ولبقياء المشركين في المدينة، وممن حول المدينة من الأعراب، أن هذه الدولة التي بدأت نواتها تتشكل، ليست دولة هزيلة ولا ضعيفة، بل هي دولة قوية. تلاحظون أن أكثر هذه الغزوات، لم يقع فيها قتال، وهذا تحقيق لقوله -عز وجل-: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

❖ **الرسالة الثانية:** التي تحملها هذه السرايا المتتابعة، وهناك سرايا كثيرة صغيرة، طواها الحافظ -رحمه الله-: لإرسال رسالة إلى قريش، التي مازالت تعذب المؤمنين في مكة، وتمنع من أراد الهجرة منهم، الخطر قادم عليكم، وليس عندنا رسالة غير لغة القوة؛ لأن من تكبر وطرده وأذى، فلا تصلح معه لغة اللين، أول لغة المهادنة، بل لا يصلح معها إلا لغة القوة.

ولهذا بعض المستشرقين، لما بدأ يستعرض أمثال هذه السرايا، ويقول: هذا دين قوة، دين سيف، إلى آخره. • طبعاً من المضحك أن يتكلم المستشرقون عن هذا النوع من السرايا، وأن فيها ما فيها من المؤاخذات أو شيء من هذا القبيل، لم؟ لأن جيوشهم التي تُسَيَّ استعمارية، وهي استخراية في الواقع للبلاد الفقيرة، على امتداد أفريقيا، وكثير من دول آسيا، لو فتشت في السجلات التاريخية، لوجدت أنهم قتلوا ملايين، وجوعوا ملايين، وأذلوا ملايين، حتى إن أحد الإنجليز وهو يريد أن يقتل رجلاً في كينيا، وهي محتلة من بريطانيا، قال: انظروا إلى هذا العبد، كيف أقتله، وهو يريد أن يعضني، لاحظ، غزا البلد، ويقتل أهلها، ويسخر بأن هذا الرجل وحشي، لماذا؟ لأنه يدافع عن وطنه، فهو لا يملك إلا أن يعض هذا المحتل، لكن لم يرعه أنه هو الذي يقتل، إنما راعه، أن هذا المسكين، المغلوب على أمره، يعضه، هذه أقصى ما عنده من السلاح، فنقول: آخر من يتكلم عن السلم وأدب الحرب أنتم أيها الذين احتلتم البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، ولم يسلم من شركم إلا القليل، وكم وقع من إذلال، وكم وقع من قتل، وسبي، وانتهاك لحرمان النساء والأموال، بسببكم أنتم، ولم ترضوا أن تخرجوا من تلك البلاد، حتى وضعت أذناباً لكم فيها، هم بلسان قومهم صحيح،

وبلغتهم، وكما يقال: يلبسون ثيابهم، ويتكلمون بلغتهم، لكنهم أذنب لكم، يصلون إليكم، لا إلى مكة، ولا إلى غيرها.

- ثم أشار إلى غزوة بدر الأولى، وهي أن كرز بن جابر الفهري، أغار على سرح المدينة، فطلبه، فبلغ واديًا يُقال له "سَفَوَان"، أو "سَفَوَان"، في ناحية بدر، مرّت معنا جهة بدر، وسنأتي -إن شاء الله تعالى- إلى ذكرها بعد قليل.
- بدر طبعًا بينها وبين المدينة جهة مكة قرابة مائة وسبعين كيلو، وهي مشهورة الآن، على الطريق، إذا جئت من المدينة إلى مكة، تدخل جهة اليمين، وترى موقع الغزوة المشهورة.
- وقد استخلف النبي -صلى الله عليه وسلم- على المدينة زيد بن حارثة، مولاه، ثم بعث بعد ذلك سعد بن أبي وقاص في طلب كرز هذا، ويقال إنه بعثه إلى غير ذلك.
- ثم جاءت سرية عبد الله بن جحش، وهذه السرية أرجو التركيز معها، أريد أن أعلق عليها باختصارٍ، لا نريد أن نقرأ ما قاله الشيخ -رحمه الله-.
- بعثه النبي -عليه الصلاة والسلام- ومعه ثمانية من المهاجرين، وقال له: «لا تفتح كتابي، حتى تصل الموضع الفلاني، فإذا وصلته فافتحه»، فلما فتح الكتاب، وجد فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا، فامض حتى تنزل نخلة»، نخلة: وادٍ بين مكة والمدينة، وهو الذي ذكرناه في قصة إفاقته -صلى الله عليه وسلم-، بقرن الثعالب، وأنه مربوطادي نخلة، وهو الوادي الذي بين مكة والمدينة، ولا يزال موجودًا، وأنت خارجٌ من ميقات السيل، إذا اتجهت إلى مكة، ستجد هناك وادي نخلة، مازال موجودًا، بين مكة والطائف.
- يقول: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، وترصد بها قريشًا، وتعلم لنا أخبارهم»، فقال: سمعًا وطاعةً، وأخبر أصحابه بهذا، وأنه لا يريد أن يكرههم، فمن أحب الشهادة فليهنض، ومن كره الموت فليرجع إلى المدينة، فنهضوا معهم جميعًا -رضوان الله تعالى عليهم-.
- المهم أنه عرضت لهم عيرٌ لقريش، طبعًا ذكر أشياء من هذا، فيه تفاصيل، عرضت لهم عير، وكان فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان، ونوفل ابني عبد الله بن المغيرة، وكذلك فيها الحكم بن كيسان، فتشاور المسلمون، قالوا: نحن الآن في آخريومٍ من رجب، وهو شهرٌ حرامٌ، وبالمناسبة الجاهلية تعظم الأشهر الحرم، وهي ثلاثٌ متتابعةٌ، ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب الفرد. لكن الجاهلية أيضًا لأنها تعبت بالشرائع كما تحب، صاروا ينسأون محرم إلى صفر، فيؤخرون تحريم محرم ويجعلونه في صفر، كما قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي تأخير تحريم الشهر الحرام ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيَبْوَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: 37]، لأجل أن لا يُقال أنهم غيَّروا عدة الأشهر، فهي أربعة، لكن بدل ما تصير في محرم، تكون في صفر.
- المهم، أنهم تشاوروا، قالوا: إن قاتلناهم، انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة، دخلوا الحرم، الآن هنا عير، والحرب قائمةٌ بين المسلمين وبين كفار قريش؛ لأن الحرب مُعلنةٌ منذ أن طردوهم من بلادهم.
- فاتفقوا على أن يلاقوهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي هذا فقتله، وأسروا عثمان والحكم، الذي سبق ذكرهم، وأما نوفل بن عبد الله بن المغيرة فإنه شرد، وهرب.

- فقدم الصحابة بالأسيرين، والعير، وقد عزلوا الخمس، فكان يقول ابن كثير: فيه أربع أوليات: أول غنيمة في الإسلام، وأول خمس في الإسلام، وأول قتل في الإسلام وأول أسير في الإسلام.
- لكن، لاحظوا النبي -عليه الصلاة والسلام- أنكر عليهم هذا الفعل، وقد كانوا -رضي الله عنهم- مجتهدين فيما صنعوا.
- يقولون في السير: إن القتال بدأ نهار آخر يوم، واستمر بعد أن دخل شهر شعبان، يعني انسلخ الشهر الحرام، لكن البداية كانت وقعت في الشهر الحرام.
- هنا وجد المشركون فرصة للطعن في الإسلام، من خلال هذا الفعل، وهنا ننتبه للموضع هذا فيه عدة دروس:

✓ **الدرس الأول:** أن أعداء الإسلام ينظرون إلى أفعالنا نحن المسلمين، فأبى فعل يخالف ما يقرره ديننا، سيدنونا به، وإن كانوا لا يدينون أصلاً بالإسلام، فلنحذر من أن نفعل أفعالاً تشوّه ديننا، فضلاً عن أن لا تكون أصلاً من الإسلام، كما يفعل بعض المجرمين من الغلاة الذين شوّهوا سمعة الإسلام، حينما يرمون الناس من الشواهد لمجرد أدنى مخالفة، وحينما يسبون النساء لأدنى سبب، أصلاً يُكفّرون ثم يسبون، مع أن التكفير قد لا يكون وقع على هؤلاء، وقد يكون هؤلاء مؤتمنين في تجاوز كثير من أحكام الجهات الشرعية المعروفة. هذه نقطة.

✓ **الدرس الثاني:** نلاحظ أن القرآن الكريم هنا سجّل على المسلمين هذا الخطأ، الذين اجتهدوا، فقال الله -عز وجل-: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ قال الله -عز وجل-: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ نعم القتال فيه حرام، ثم قال الله رد عليهم، ماذا قال؟ ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ثم قال: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 217].

إذن، صحيح أخطأ فلان وفلان من الصحابة، لكن إخراجكم أنتم لهؤلاء من ديارهم أعظم عند الله -عز وجل- من القتل، الذي أنتم الآن تنعون على هؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم-.

✓ **الدرس الثالث:** قال الله -عز وجل-: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 217]، إلى آخر الآيات، وفي هذا درس ثالث: وهو أن الصحابة -رضي الله عنهم- مع أنهم لاحظوا، يعني اجتهدوا فأخطئوا، لكن هذا لم يمنعهم أبداً من أن ينقلوا هذه الآية كما وقعت، وخذوها قاعدة وفائدة: جميع الآيات التي يذكر الله -عز وجل- فيها عتاباً للصحابة، هي دالة على عدالتهم وفضلهم، ما وجه ذلك؟ لو كانوا يريدون أن يكتموا شيئاً من القرآن، لكتموا الآيات التي عاتبهم الله -عز وجل- فيها، لكنهم صادقون، ينقلون ما لهم، وينقلون ما عليهم، ينقلون الآيات التي يرضى الله -عز وجل- فيها عليهم، ويبشّرهم فيها بالجنة، وينقلون الآيات التي فيها عتاب لهم، كهذه الآية، وكقوله -عز وجل-: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: 11]، بل أبلغ من ذلك: النبي -عليه الصلاة والسلام- ينقل الآيات التي عاتبه الله فيها ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: 43] ﴿وَتَخَشَّى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: 37]، فأين الذين يطعنون في هؤلاء الصحب الكرام -رضي الله عنهم-؟ أين عقولهم؟ أين يُذهب بهم؟ ألا يتأملون في هذا القرآن العظيم،

الذي أثنى عليهم، ونقلوا فيه كل حرفٍ سمعوه ووعوه وحفظوه، ولكن ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: 41].

نحن الآن وصلنا إلى أوائل شهر شعبان، المؤلف -رحمه الله- ذكر مسألة تحويل القبلة، وأنا نسيت أن أشير إليها، وهي أنه في شهر شعبان من هذه السنة، تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، بعد مرور ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، على اختلاف الروايات، والخطب في هذا يسيرًا، يعني بعد مرور سنة وأربعة أشهر، أو خمسة أشهر من هجرته -صلى الله عليه وسلم-، لأنه لما وصل المدينة في ربيع الأول، إذا قلت سنةً، مر اثنا عشر شهرًا، ثم إذا أضفت أربعة أشهر أو خمسةً، صارت ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، في شهر شعبان، على المشهور، حوّلت القبلة، وكان هذا التحويل فتنةً لطوائف من الناس، أما المؤمنون، فقالوا كما أثنى الله عليهم: سمعنا وأطعنا، بل أبلغ من هذا أيها الإخوة: أنه لما جاء المنادي إلى الصحابة وهم يصلون في "قباء"، يعني بعدما نزل الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- في المسجد النبوي، وجاء الناقل للخبر إلى مسجد قباء، فأخبرهم أن القبلة قد تحوّلت، فتحولوا وهم في صلاة العصر، كانوا متجهين إلى بيت المقدس شمالًا، فانقلبوا إلى جهة الجنوب تمامًا إلى مكة، الله أكبر! أي تسليم هذا؟ وأي إذعان؟ وأي تصديق؟ وأي مبادرة وامتنال؟ وللأسف تجد بعض الناس يُقال له: قال الله -عزَّ وجلَّ- كذا، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذا، ثم يقولون: هاه، لعل في المسألة خلافٌ، أكيد، ربما يكون فيه قول من الأقوال، ثم يبدأ يبحث عن المخارج التي تُعفيه من الامتنال، بينما هؤلاء الصحابة ما سألوا، مباشرةً يعلمون أنه لا كذب، والأمر الثاني يعلمون أن أمر الله لا بد أن يُنفَّذ.

أما الذين فُتنوا بهذه القضية، وهي قضية التحويل، فهم اليهود، والمشركون، والمنافقون. أما اليهود، فقالوا في كلامهم: خالف قبلة الأنبياء قبله، وأما المنافقون: فإنهم يقولون: إن هذا رجلٌ لا يدري أين يصلي، عافانا الله وإياكم من ذلك، لكن سمّاهم الله سفهاء، وأما المشركون، ففتنوا بذلك فقالوا: مادام أنه ترك قبلة الأنبياء من قبل، ورجع إلى قبلتنا في مكة، فيوشك أن يرجع إلى ديننا، خابوا وخسروا، لا هذا ولا ذاك، ولهذا قال الله -عزَّ وجلَّ- لما ذكر قضية التحويل: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ هؤلاء السفهاء: يهود، ومنافقون، ومشركون ﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: 142] ماذا قال الله لهم؟ ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 142، 143] أي عدلاً خياراً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، إلى أن قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَإَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115].

وهذا فيه فائدة: وهو أن الله يُجري من الأحداث ما يزيد المؤمنين إيمانًا وثباتًا، وما يُمتحن به المنافقون، والمعارضون، أو المعاندون والمكذِّبون.

ثم في هذه السنة، وهي السنة الثانية أيضًا فُرض صيام شهر رمضان المبارك، وفُرضت زكاة الفطر في ذات السنة، وهي السنة الثانية من الهجرة.

هذا أيها الإخوة والأخوات ملخص الأحداث الكبرى التي وقعت منذ دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، إلى أن اقترب موعد غزوة بدر الكبرى، وخلصتها: أنه بقي في قباء بضعة أيام، وبنى فيها هذا المسجد، ثم انتقل إلى الموضع الذي بركت فيه الناقة، وأسس مسجده على التقوى، كما قال الله -سبحانه وتعالى- ذكر هذا عن

قباء، وعن المسجد النبوي، ثم بعد ذلك وادع اليهود، وحاول أن يقيم علاقات صلح مع القوى المؤثرة، لأجل أن يكف شرهم، وأن لا ينشغل بعداوتهم عن توطيد دعائم الدعوة، وحاجة المسلمين إلى تقوية شوكتهم، آخى بين المهاجرين والأنصار، كذلك أيضًا قام ببعث السرايا التي حول المدينة، مرمعنا غزوة الأبواء، أو ودّان، ومر معنا أيضًا غزوة بواط، ومر معنا غزوة العشير، ومر معنا سرايا لحمزة ولغيره من الصحابة -رضي الله عنهم-، وكان يريد -عليه الصلاة والسلام- في ذلك أن يرسل رسائل للكفار، الموجودين في مكة، ورسائل للموجودين في المدينة، والمنافقين، وكذلك الأعراب الذين كانوا لا همّ لهم إلا النهب والسلب، ولا يهمهم دينهم، إلا من شاء الله -عزّ وجلّ-.

وصلّى الله على نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

